الفصل الثالث

تحليل قصة النيام السبعة

obeikandl.com

obeikandl.com

تحليل قصة النيام السبعة

ونبدأ تحليلنا للقصة ببيان الظروف والملابسات التى أحاطت بظهورها، فقد سبق أن ذكرنا أنها وردت أول ما وردت فى عظات الأسقف السورى (جيمس الساروجى) الذى يقال إنه ولد عام ٤٥٢ ميلادية حسب ما ذكره (جيبون) من أنه ولد بعد موت ثيودوسيوس الأصغر بسنتين، ومات عام ٥١٨ وقيل عام ٥٢٠ ميلادية. أى أنه مات عن عمر يناهز الثامنة والستين. وليس معروفاً على وجه التحديد متى سمع (جيمس) بقصة النيام السبعة التى قيل إن أبطالها استيقظوا فى عهد الامبراطور ثيودوسيوس الثانى، أو الأصغر الذى مات عام ٤٥٠، والذى دام حكمه قرابة الاثنين والأربعين عاماً حيث إنه ورثه عن أبيه عام ٤٠٨ ميلادية، فلو أننا استطعنا أن نحدد العام الذى استيقظ فيه الفتية، لأمكننا بالتالى أن نحدد كم كان (جيمس) من العمر عندما سمع بالقصة.

ولما كانت كل الروايات التى تناولت قصة «النيام السبعة» لم تذكر العام الذى استيقظ فيه الفتية، وإنما ذكرت أنهم استيقظوا فى عهد ثيودوسيوس، فإننا سنضطر إلى تحديد هذا العام باللجوء إلى إضافة المدة التى قيل إنهم لبثوها نائمين فى الكهف إلى التاريخ الذى قيل أيضاً إنهم دخلوا فيه الكهف، حيث سلط الله سبحانه وتعالى عليهم النوم، ولحسن الحظ فإن هذا الحدث قد وقع فى عهد ملك يدعى (ديكيوس) لم تزد مدة حكمه للامبراطورية الرومانية على عامين فقط، من ٢٤٩ إلى ٢٥١ ميلادية، وبالتالى فإن افتراض أن نومهم حدث فى العام الأول لحكمه أو فى العام الثانى لن يؤدى إلى اختلاف كبير.

فإذا افترضنا أن الفتية قد دخلوا الكهف فى العام الأول من حكم

(ديكيوس) على اعتبار أن هذا الرجل الرافض المسيحية، والكاره لأهلها قد بادر على الفور إلى اضطهاد المسيحيين عقب توليه الحكم مباشرة، فمعنى ذلك أن الفتية قد استيقظوا عام ٤٣٦ بحسب ما ذكره (جيبون) من أنهم لبثوا فى الكهف ١٨٧ عاماً، أو أنهم استيقظوا عام ٥٥٦ ميلادية بحسب ما ذكرته دائرة المعارف للأخلاق والديانات من أنهم لبثوا فى كهفهم ٣٠٧ أعوام. أو أنهم أستيقظوا عام ٣٩٦ أو ٣٩٨ ميلادية، بحسب ما ذكره ابن البطريق من أنهم لبثوا فى كهفهم ١٤٧ عاماً أو ١٤٩ عاماً. والملاحظ أن كلتا المدتين اللتين ذكرتهما دائرة المعارف للأخلاق والديانات، والتى ذكرها ابن البطريق تجعلان واقعة الاستيقاظ فى الكهف فى وقت لم يكن فيه (جيمس) موجوداً، إما لأنه كان قد مات أو لأنه لم يكن قد ولد بعد، وكذلك بالنسبة للإمبراطور ثيودوسيوس نفسه فإنه حسب ما ذكرته دائرة المعارف للأخلاق والديانات عن المدة التى لبثها الفتية فى الكهف تكون يقظتهم قد حدثت بعد وفاة ثيودوسيوس الذى مات عام ٤٥٠.

أما حسب رواية ابن البطريق فإنه لم يكن قد ولد بعد، على الرغم من أن كل الروايات المسيحية تجمع على أن اليقظة حدثت فى عهد ثيودوسيوس، بل وتصر على أنه قابل الفتية. وعليه فإننا سوف نطرح الروايتين جانباً ونعتمد رواية (جيبون) التى يفهم منها أن الفتية استيقظوا عام ٤٣٦ أى قبل أن يولد (جيمس الساروجى) بستة عشر عاماً، ومعنى هذا أن الرجل لم يكن حاضراً وقت استيقاظ الفتية وإنما سمع بقصتهم بعد ولادته، وربما يكون هذا قد حدث وهو فى الخامسة أو فى التاسعة، أو فى الخامسة عشرة أو بعد ذلك، وفى هذه الحالة يكون سماعه لها كحدوتة من هذه الحواديت التى يشغف الأطفال بسماعها، والمعروف أن الحواديت تتعرض للتبديل والتعديل أثناء انتقالها من بيئة إلى بيئة، ومن مجتمع إلى آخر، فيحذف منها ويضاف إليها وهكذا. غير أنه قيل إن (جيمس) هذا ألقى إحدى عظاته التى تضمنت قصة النيام السبعة حوالى سنة ٤٧٤ ميلادية، أى أنه كان وقتئذ قد بلغ الثانية والعشرين من عمره، وأصبح أسقفاً أى من رؤساء الكنيسة وعمدها. وقد ترجمت القصة من السريانية إلى اللاتينية قبل أن ينتهى القرن السادس الميلادى.

ونحن هنا نتساءل: لماذا اهتم (جيمس الساروجى) بقصة أو معجزة «النيام

السبعة»، وضمنها إحدى عظاته، وهو لم يحضرها ولم يعاينها، بل ولم يكن من بين الذين عاصروها، فى حين لم يرد لها ذكر فيما تركه ثيودوسيوس من وثائق، بل إنه حسب ما ذكرته دائرة المعارف للأخلاق والديانات وكذلك ما ذكره سعيد بن البطريق كان هناك أسقف مسيحى فى أفسوس وقت استيقاظ الفتية وهو الذى أجرى التحقيق مع زميلهم الذى ذهب ليشترى له الطعام، ثم هو الذى صحب ثيودوسيوس عند ذهابه إلى الكهف لمقابلة الفتية، وهو كما نعتقد رجل أمين متحمس وغيور على عقيدته التى تقول: «بأن الإنسان يبعث بعد موته بالروح والجسد، وهو ما حدثت المعجزة لإثباته والقضاء على كل ما أثير من شك حوله، وقد كان من المعقول أن يتأثر هذا الأسقف بالمعجزة التى شاهدها وعاينها إلى الدرجة التى تدفعه إلى تضمينها فى عظاته، خاصة وأنه يشرف على كنيسة تقوم فى مدينة تشكك سكانها فى البعث، وأفرطوا فى التلذذ والاستمتاع بالدنيا، ومع ذلك فإن هذا الأسقف المجهول لم ينبس ببنت شفة، وكأن شيئاً هاماً وخطيراً بل معجزة لا عهد للقوم بمثلها قد حدثت!! ليس ذلك وحسب، بل إن أحداً من سكان أفسوس وهى مدينة كبيرة ومركز مسيحى عظيم تعقد فيها الاجتماعات التى تضم رؤساء الكنائس فى الشرق والغرب، ويوجد فيها الفلاسفة والحكماء والمفكرون والمؤرخون ــ إن أحداً من هؤلاء جميعاً وغيرهم لم يهتم بالإشارة إلى ما حدث، وتركوا المعجزة بكل تفاصيلها حتى يأتى (جيمس) ومن أين؟ من ساروج فى العراق لكى يتكلم عنها ويحيى ذكراها ويشيد بالفتية ويختلق لهم أسماء وأسراً ينتمون إليها، وينسب إليهم أحاديث، بل وأغانى وأشعاراً منها ما قالوه لأحدهم وهو المدعو (مليخا) حين دعوه للتوجه إلى المدينة ليأتيهم بطعام: (قم ياعينى واذهب إلى المدينة واشتر لنا خبزاً وطعاماً، فقد كان الطعام قليلاً وتناولناه فى عشائنا أمس). بل الأغرب من هذا أن القصة أو المعجزة التى حدثت فى مدينة رومانية وأبطالها من الروم، لم تكتب بالرومية بواسطة أحد من أهل هذه اللغة، وإنما كتبت بالسريانية التى يتكلم بها (جيمس) ثم ترجمت بعد هذا إلى اللاتينية قبل أن ينتهى القرن السادس الميلادى، منسوبة إلى هذا الرجل الذى لم يشاهد المعجزة، وإنما اعتمد فيما رواه عنها على سمعه فى مرحلة ما من مراحل حياته.

ولعلنا لاحظنا فى القصة التى وردت فى دائرة المعارف للأخلاق والديانات، أن هناك شابين يدعى أحدهما ثيودور والآخر روفينوس قاما عقب إغلاق الكهف

على الفتية بكتابة أسمائهم على لوح من المعدن (وليس من الحجر) ووضعاه أو دفناه تحت الحجارة التى سد بها الكهف، فإذا صح هذا فأين هو هذا اللوح الذى قيل إن الناس عثروا عليه ساعة الالتقاء بالفتية فى كهفهم؟ ولماذا لم يكتب هذان الشابان النجيبان أسماء غير هؤلاء الفتية ممن صب عليهم (ديكيوس) جام غضبه، وأنزل بهم عذابه وطاردهم وقتلهم، أم لعل هذين الشابين كانا مطلعين على الغيب، يعلمان أن الفتية لن يموتوا داخل الكهف المغلق وأنهم سوف يبعثون، فلابد من وجود دليل على أنهم هم الفتية الذين دفنهم (ديكيوس) أحياء. أما سعيد بن البطريق فإنه على ما يبدو لم يقتنع بهذه الفكرة فقال: إن الذى أثبت للناس وللملك ثيودوس أن الفتية هم الذين هربوا إلى الكهف فى عهد (ديكيوس) هو (الصندوق النحاس الذى فيه صحيفة الرصاص المكتوب فيها قصتهم وخبرهم) فهم إذن كانوا يحتفظون بالصحيفة فى صندوق معهم فى الكهف كتبوا فيها قصتهم وخبرهم، ولا ندرى أى قصة وأى خبر، هل يقصد بالقصة أنهم آمنوا بعقيدة التثليث التى تقول: إن (يسوع) ابن الله وشريكه فى ملكه، وإن أمه إلهة، وأنهم فروا من ملك مشرك يعبد آلهة متعددة، وماذا فى ذلك وقد كان كثيرون غيرهم على ملتهم، ومنهم من عذب واضطهد وقتل، ومع ذلك لم تكتب قصته فى صحيفة لا من رصاص ولا من نحاس، وبماذا تفيد مثل هذه الصحيفة، اللهم إلا إذا كان الفتية قد اطلعوا على الغيب، وأرادوا أن يعدوا العدة لإثبات حقيقتهم عندما يبعثون أحياء!!. وعلى فرض حدوث هذا فأين هى هذه الصحيفة؟ ولماذا لم تحتفظ بها الكنيسة طالما أنه قد عثر عليها فى الكهف؟

ومع ذلك فسوف نفترض جدلاً أن أسماء الفتية وكذلك قصتهم قد كتبت على لوح من المعدن، أو فى صحيفة من الرصاص كما زعم ابن البطريق، وأنه قد عثر على هذه الصحيفة يوم بعث الفتية فى الكهف، ومنها عرف الناس أسماءهم، وصدقوا قصتهم، وفى هذه الحالة يواجهنا فرضان لا ثالث لهما، الأول: أن تكون القصة ليست مطابقة لما ذكره «جيمس الساروجى» وأن من شأن إفشائها أن تتضح الحقيقة التى لا تلائم آراء الكنيسة فى المسيح ومذهبها فى عبادته باعتباره ابن الله، ولذلك بادرت إلى إخفائها مفضلة أن يحيط الشك بالقصة كلها على أن يظهر أن الفتية لم يكونوا على عقيدة التثليث. والثانى: أن تكون الصحيفة قد

ضاعت أو فقدت لسبب أو لآخر، على الرغم من أن هناك من الآثار المقدسة ما يقل فى الأهمية كثيراً عن هذه الصحيفة، ومع ذلك تحتفظ بها الكنيسة وتحرص على حمايتها من الضياع أو التلف، ثم هل يعقل أن تهمل صحيفة كهذه مصنوعة من النحاس أو من الرصاص فى حين تحتفظ الكنيسة بآثار هى بطبيعتها من مادة هشة قابلة للتلف والبلى مثل الصليب (المقدس) الذى صلب عليه المسيح، والذى يقال إنه قد تم العثور عليه فى فلسطين.

كذلك فإنه من المعروف أن (جيمس الساروجى) عندما روى القصة فى إحدى عظاته لم يكن قد مرّ على المعجزة غير ثمانية وثلاثين عاماً فقط، أو على حد قول (جيبون) خمسين عاماً. فلماذا لم يقم بالبحث عن الصحيفة المذكورة ليبرهن على صحة القصة. والمعروف أن استيقاظ الفتية كان فى عهد ملك صالح وكنيسة قوية، تهتم بجمع الآثار المقدسة، ولا شك أن صحيفة كهذه لها من القداسة والأهمية ما يبرر الاحتفاظ بها والحرص عليها؛ لأنها تتضمن بيانات خاصة بسبعة من الفتية الذين لا نظن أنهم يقلون فى القداسة والصلاح والورع عن كثيرين من آباء الكنيسة الذين وصفوا بالقديسين، وتحتفظ الكنائس بآثارهم ومخلفاتهم، ولكن جيمس الصالح الغيور على عقيدته التثليثية لم يفكر فى هذا الأمر؛ ربما لأنه لم يقدر أهميته البالغة فاكتفى بأن يعظ الناس ضارباً المثل بالفتية، ثقة منه بأن كلامه المجرد من أى دليل كاف جدًّا لإقناعهم بصحة ما يقول، على الرغم من أنه لم يكن قد مضى على الفترة التى ساد فيها لدى الناس الشك فى البعث وقتاً طويلاً يصح معه القول بأن هذا الشك حل محله إيمان راسخ بالبعث، يكفى للتدليل عليه رواية يرويها أسقف متحمس.

والمثير للدهشة حقًّا ما حدث عند البحث فى أحد الكهوف الموجودة فى (خربة قران) حيث عثر على اللفائف الخاصة بطائفة الآسينيين، التى رجحنا فى هذه الدراسة أن يكون فتية الكهف بعض أعضائها، فقد وجد من بين ما تركته هذه الطائفة لفيفة نحاسية تبين من فحصها أنهم تضم قائمة بمحتويات كنز مدفون، ويقول (آليجرو) إنه الكنز الذى ظل مدفوناً لمدة طويلة، والخاص بالحرم المقدس لأورشليم (القدس) الذى دمره (تيطس) عام ٧٠ بعد الميلاد. ويقول آليجرو إنه قبل أن يفرض تيطس الحصار على أورشليم قام يهود المدينة بحمل هذه الثروة الكبيرة بعيداً إلى أماكن سبق أن حدودها فى داخل المدينة وما حولها، وفى

الصحراء التى تقع فى الشمال الشرقى وفى الشرق، وكان من بين أسماء الأماكن التى ذكرت مرات كثيرة (سيكاكا) التى كانت قد ذكرت مرة فى العهد القديم باعتبارها إحدى المدن البرية، ويعتقد آليجرو أنه يمكن أن نطابق، ونحن مطمئنون بين هذه المدينة وبين خربة قمران وطن الطائفة الآسينية أو طائفة قمران، فإذا كانت هذه اللفيفة النحاسية قد بقيت فى الكهف الموجود فى خربة قمران كل تلك المدة، والتى تصل إلى ألف وتسعمائة سنة إلى أن عثر عليها فى ١٤ مارس سنة ١٩٥٢، أفلم يكن من الأولى أن تعثر الكنيسة الكاثوليكية على اللوح المعدنى الذى قيل إن أسماء الفتية كانت قد كتبت عليه، خاصة وأنه لم يكن قد مضى على بعثهم فى الكهف غير وقت قصير لا يسمح بضياع اللوح المزعوم!

هذا عن الأسقف (جيمس الساروجى) وما ذكر منسوباً إليه، أما عن قصة النيام السبعة نفسها فإنها مثلها مثل غيرها من القصص، تتكون من أربعة عناصر هى: الأشخاص، والزمان، والمكان، والحادثة أو الحوادث التى تربط العناصر الثلاثة. وقد يضيف البعض عنصراً خامساً وهو مغزى القصة أو الهدف منها، وإن كنا نعتقد أن هذا العنصر مفترض، إذ أنه لا يتصور أن تكون هناك قصة بلا مغزى، أو بدون هدف أو غاية، والقصة التى ذكرت منسوبة إلى (جيمس الساروجى) عن النيام السبعة تستوفى هذه العناصر جميعاً على النحو التالى:

أولاً: الأشخاص:

وعددهم سبعة وهو ما تبين من اسم القصة ذاتها (النيام السبعة) وإن كان بعض العلماء الذين اهتموا بالموضوع باعتباره أسطورة اختلفوا حول عدد الفتية، فمنهم من يقول إنهم خمسة، ومنهم من يقول إنهم ثلاثة عشر. كذلك كان الحال بالنسبة للمفسرين، فقد اختلفوا حول عدد الفتية فمنهم من قال أنهم ثلاثة، ومنهم من قال إنهم خمسة أو تسعة أو أحد عشر، وهذا أمر طبيعى؛ لأن الواقعة لم تكن محل معاينة عدد كبير من الناس، أما أسماء الفتية فيونانية؛ لأن أفسوس كانت تابعة لليونان، التى كانت جزءاً من الإمبراطورية الرومانية، وإن كانت أطلال أفسوس القريبة من مدينة أزمير تتبع تركيا الآن ولا يسكنها أحد من اليونانيين. وقد وردت أسماء الفتية فى الروايات المسيحية ونقلها المفسرون المسلمون عن هذه الروايات وضمنوها كتبهم. وهذه الأسماء هى: مكسملينا، يمليخا، ديومدس

(ديموس)، امبليكوس، مرطونس، بيرونس وكشطونس. وتتضمن كتب التفسير الإسلامية أسماء أخرى مثل محسيميلنينا ويطونس وقالوش، وبعضها تحريف للأسماء الأصلية الواردة فى الروايات المسيحية، والبعض الآخر تقسيم للأسماء الثنائية مما جعل العدد يزيد على سبعة فيرتفع إلى ثمانية تارة وإلى تسعة تارة أخرى، مثال ذلك أن ابن البطريق ذكر اسم يطونش قالوش على أنه اسم واحد، فيكون عددهم بإضافة هذا الاسم ثمانية، فى حين أن هذا الاسم يرد فى مخطوطة الأزهر كاسمين وليس كاسم واحد حيث تسبق الواو اسم قالوش، ومن ثم يصبح عددهم تسعة. ولكننا سنعتمد على ما ذكرته المصادر المسيحية من أن عددهم كان سبعة، وليس ثمانية أو تسعة، ويحتمل أن الاسمين الآخرين من نوع الأسماء المركبة التى يشيع استخدامها فى الغرب مثل جون بول وغيرها.

وفيما يتعلق بالوضع الاجتماعى للفتية فقد ذكرت بعض الروايات أنهم كانوا من الأمراء، أومن علية القوم، فهم فى رواية دائرة المعارف للأخلاق والديانات يقيمون فى قصر الملك، فهم على الأقل من الموظفين الذين يعملون فى خدمة الحاكم، وينتمون إلى أسر معروفة، لأن الملك اهتم باستدعاء آبائهم لسؤالهم عنهم، وهو ما لم يكن يحدث بالنسبة لعامة الناس.

أما ديانة الفتية، فإن الروايات المسيحية على اختلافها تقول إنهم كانوا مسيحيين يرفضون عبادة الأديان التى فرضها (ديكيوس) على رعايا الدولة الرومانية، وهناك من قال إنهم رفضوا عبادة الامبراطور ذاته استناداً إلى أنه كان قد أصدر أمراً بأن يقدم الناس القرابين لتمثاله باعتباره إلهاً. وهذا إن صح بالنسبة لغير (ديكيوس) فإنه لا يصح بالنسبة له، وهو ما سوف نتناوله بالبيان عند دراستنا للظروف التى دخل الفتية الكهف فيها.

ثانياً: الزمان:

ليس معروفاً على وجه التحديد متى أوى الفتية إلى الكهف، فقد قيل إن ذلك كان فى عهد الإمبراطور ديكيوس أو ديسيوس الذى حكم بين عامى ٢٤٩ و٢٥١ ميلادية، والذى عرف عنه أنه أمر بأول اضطهاد عام للمسيحيين عقب توليه الحكم. وقد أعدمه القوط فى واليا عام ٢٥١ ميلادية.

كذلك ليس معروفاً على وجه التحديد السنة التى استيقظ فيها الفتية داخل الكهف، وإن كان قد قيل إنهم استيقظوا فى عهد ثيوديوس الأصغر أو الثانى الذى يمتد حكمه بين عامى ٤٠٨ و٤٥٠ ميلادية إلا أنه بناء على ما ذكره المؤرخ «إدوار جيبون» من أن النيام السبعة لبثوا فى الكهف مدة بلغت ١٨٧ عاماً، فإننا لو افترضنا أنهم لجئوا إلى الكهف فى أول عام من حكم ديكيوس أى ٢٤٩ ميلادية، فمعنى هذا أن يقظتهم كانت فى عام ٤٣٦ ميلادية. ومع ذلك فإن هناك رواية تقول إن يقظتهم كانت فى العام الثامن والثلاثين من حكم الإمبراطور ثيوديوس أى سنة ٤٤٥ أو ٤٤٦ ميلادية تقريباً، وهذا يعنى أنهم لبثوا نائمين فى الكهف مائة وستة وتسعين عاماً، وهكذا يتضح أنه ليس هناك خلاف بين غالبية المؤرخين المسيحيين حول العهد الذى لجأ فيه الفتية إلى الكهف، ولا العهد الذى اسيتيقظوا فيه فهم يجمعون على أن الأول كان عهد ديكيوس أو ديسيوس، أما الثانى فعهد ثيوديوس الأصغر أو الثانى، أما الخلاف بشأن المدة التى لبثوها فى الكهف فيرجع إلى طول المدة التى حكم فيها ثيوديوس الإمبراطورية الرومانية، والتى بلغت ٤٢ عاماً، حدثت اليقظة أثناءها، ولكن متى على سبيل التحديد؟ فهذا ما لم يتفق عليه المؤرخون المسيحيون، فبينما يقول سعيد بن البطريق إن الفتية استيقظوا فى السنة الثامنة من حكم ثيودوسيوس أى سنة ٤١٦، ومعنى هذا أنهم قد لبثوا فى الكهف ما بين ١٦٥ سنة و١٦٧ سنة، إذا اعتبرنا أنهم أووا إليه فى أول عهد ديكيوس ٢٤٩. ومع ذلك فإن ابن البطريق يقول إن مدة لبثهم كانت مائة وسبعاً أو تسعاً وأربعين سنة، وهذا يعنى أنهم إما أن يكونوا قد أووا إلى الكهف بعد موت ديكيوس (٢٥١) أو قبل تولى ثيودوسيوس الملك (٤٠٨) أما (جيبون) فيقول: إن استيقاظ الفتية كان قرب نهاية حكم ثيودوسيوس (مات سنة ٤٥٠).

ويقول (أسمانى): إن استيقاظ أهل الكهف كان سنة ٧٣٦ رومية، أى ٤٢٥ ميلادية أو ٧٤٨ رومية أى ٤٣٧ ميلادية من تاريخ سلوقس. أما المؤرخ اليونانى فوتيوس فإنه يقول: إنهم استيقظوا سنة ٨٣٠ من حكم ثيودوسيوس أى سنة ٤٣٩ ميلادية.

ويقول الأستاذ رفيق وفا الدجانى(١) مكتشف الكهف: إن البينة الأثرية

(١) اكتشاف كهف أهل الكهف، صفحة ٣٠.

التى عثر عليها فى مدافن كهف الرجيب توافق سنة ٤٢٥ ميلادية، فلو أننا افترضنا صحة هذا الكلام لكان معنى ذلك أن الفتية لبثوا فى الكهف ١٨٨ سنة وليس ١٨٧ سنة كما قال جيبون، الذى وفقاً لما قاله يكون الفتية قد لجئوا إلى الكهف بعد موت ديكيوس (٢٥١). إلا إذا كان ما قاله مكتشف الكهف هو الذى يفتقر إلى الدقة، أما طبقاً لما قاله (أسمانى) من أن الفتية استيقظوا سنة ٤٢٥ ميلادية، فإنهم يكونون قد لبثوا فى الكهف ١٧٤ سنة.

وهكذا يظهر الخلاف بين المؤرخين المسيحيين حول المدة التى لبثها الفتية فى الكهف، على الرغم من أهمية هذا البيان، مع ملاحظة ما ادعاه «چيمس الساروجى» من قرب العهد بحادثة الكهف ومازعمه من أنها وقعت فى (أفسوس) تلك المدينة التى كانت أكبر المدن فى الدولة الرومانية الشرقية والتى لا يتصور بحال من الأحوال أن يصعب على علمائها وكهنتها أن يحددوا المدة التى لبثها الفتية فى الكهف، خاصة وأنه كان هناك لوح من النحاس نقشت عليه أسماؤهم، كما يزعمون، والتاريخ الذى أووا فيه إلى الكهف. فأين ذهب هذا اللوح أو (الرقيم) كما يسميه المفسرون المسلمون الذين نقلوا عن الأسطورة المسيحية بدون إعمال نظر أو تدبر. أم أن التاريخ الذى كان قد نقش على اللوح محاه الزمن والعوامل الجوية فلم يبق إلا أسماء الفتية فقط لاتخاذها دليلاً على أنهم كانوا يونانيين.

إن هذا الاختلاف بين المؤرخين المسيحيين إن كان يدل على شىء فإنما يدل على أن القصة التى قيل إن الأسقف (چيمس الساروجى) كان قد ضمنها عظاته الكثيرة هى فى الحقيقة قصة مزورة، وأنها لم تحدث حيث ادعى أنها حدثت، أى فى (أفسوس) ولا كان حدوثها فى الفترة الزمنية التى زعم أنها حدثت فيها، كما أن أبطالها لم يكونوا مكسميلينا ولا تمليخا ولا غيرهما ممن ذكر أنهم هم الذين أووا إلى الكهف.

ثالثاً: المكان:

جاء فى قصة النيام السبعة أن الفتية كانوا من سكان (أفسس) أو (أفسوس) التى كانت أكبر وأشهر ميناء للرومان على الساحل الغربى لآسيا

الصغرى، والتى توجد آثارها على مسافة عشرين أو خمسة وعشرين ميلاً جنوب مدينة أزمير الآن فى تركيا، وأن الكهف الذى أوى إليه الفتية يقع قريباً من هذه المدينة، وهو ما تكاد تجمع عليه المصادر الغربية، تتفق معها فى هذه القصة المصادر الإسلامية أيضاً مثل الطبرى وابن كثير وغيرهما. إلا أن المستشرق الألمانى فنسنك Wensinck يقول فى دائرة المعارف الإسلامية تحت مادة أصحاب الكهف: «على أن العرب يعرفون مدينتين بهذا الاسم: إحداهما المدينة المعروفة والأخرى مدينة عربسوس القديمة فى تركيا. وكانت تسمى أيضاً (أبسوس) وتسمى اليوم بربوز، فهل كانت مدينة (أبسوس) هذه هى المسرح الذى وقعت فيه تلك الأحداث التى أوحى بها الخيال؟ أما دى جويه فيؤيد هذا الرأى معتمداً على براهين استمدها من الكتب التى تقول بذلك.

وفى الحق أن بعض الرحالة قالوا إنهم رأوا فى مدينة أبسوس هذه كهفاً به جثث ثلاثة عشر رجلاً قد تيبست وهو ما ذكره ياقوت فى المعجم عن (أبسس) وإن لم يذكر شيئاً عن الجثث، فهو يقول عن تلك المدينة «اسم لمدينة خراب قرب (ابلستين) من نواحى الروم يقال: منها أصحاب الكهف والرقيم، وقيل هى مدينة دقيانوس، وفيها آثار عجيبة مع خرابها»(٢). ومع ذلك فإنه فى تعريفه بـ(أفسوس) قال إنها بلد بثغور طرسوس، يقال: إنه بلد أصحاب الكهف.

ولا ندرى من أين جاء دى جويه بهذا الكلام الذى نسبه إلى ياقوت الحموى؟

ويضيف (فنسنك) إلى ذلك قوله: وفوق هذا فقد تضمنت مجموعة النصوص المتعلقة بتاريخ السلاجقة ما ينص صراحة على أن عربسوس هى مدينة أصحاب الكهف والرقيم، وربما كان اكتشاف الجثث الثلاث عشرة هو الأصل الأول لقصة أهل الكهف، ثم حرف الناس (أبسوس) فيما بعد إلى (أفسوس). وهذا الذى قاله (فنسنك) استنتاج غير صحيح لا يوجد ما يؤيده بالمرة، وفضلاً عما قيل من أن الكهف يوجد فى (أبسوس) أو فى (أفسوس) فقد ظهر من يدعى أن الكهف يوجد فى اسكندنافيا، حيث زعم أنه قد وجدت فى كهف هناك سبع جثث، وصاحب هذا القول شماس فى مدينة أقويليا وضع كتاباً باللاتينية.

---

(٢) معجم البلدان، الجزء الأول، صفحة ٧٣.

رابعاً: الحوادث:

تتضمن قصة النيام السبعة حدثين رئيسيين: الأول لجوء الفتية إلى كهف يختبئون فيه من ملك وثنى أراد أن يكرههم على ترك المسيحية إلى عبادة الأوثان الرومانية. ونومهم فى هذا الكهف مدة بلغت قرنين إلا قليلاً بعد أن أغلق عليهم الطاغية باب الكهف بالأحجار الضخمة تخلصاً منهم.

الحدث الثانى: استيقاظهم من نومهم فى عهد ملك مؤمن بالمسيحية، بعد أن قام بعض العبيد برفع الأحجار عن باب الكهف إما دفعة واحدة كما قيل فى بعض الروايات، أو على دفعات استغرقت زمناً طويلاً وبواسطة الرعاة الذين قيل إنهم كانوا يرعون أغنامهم على مقربة من الكهف، وهناك فضلاً عن هذين الحادثين أحداث أخرى فرعية، مثل مصاحبة الكلب لهم وهم فى طريقهم إلى الكهف، ثم ذهاب أحدهم إلى السوق لشراء طعام لهم بعد استيقاظهم من النوم وانكشاف أمرهم، واكتشافهم أن الدين الذى كانوا قد فروا من أجله وحتى لا يجبروا على تركه ــ وهو المسيحية ــ قد انتشر وأصبح دين الدولة الرسمى.

أما العنصر الخامس: من عناصر هذه القصة وهو الخاص بالمغزى أو الهدف منها، فإنه يظهر فى أمرين: الأول؛ حماية الله للفتية من الحاكم الوثنى بجعله إياهم ينامون فى الكهف مدة بلغت القرنين تقريباً، دون أن يصيبهم أذى، أو يتسرب إلى أجسادهم البلى. والثانى: بعثهم فى وقت تسرب فيه الشك إلى نفوس الناس فى البعث بعد الموت والحشر والنشر مما دفع الإمبرطور ثيوديوس إلى أن يدعو الله أن يريه آية يؤمن بها الناس بالآخرة.

ومن هذا التحليل لعناصر قصة النيام السبعة يتبين أنه فى الفترة التى فر الفتية فيها إلى الكهف كانت الدولة الرومانية على دين الوثنية، فى حين كان المسيحيون قلة لا حول لها ولا قوة، وكان الحاكم يضطهد المسيحيين وينكل بهم فى قسوة بالغة، ومع ذلك نراه يستدعى الفتية ويسألهم عن دينهم فيقولون له بصراحة وبلا خوف إنهم يعبدون الله الذى خلق السمٰوات والأرض، فيغضب غضباً شديداً ويمهلهم ثلاثة أيام ليرجعوا إلى دين أهلهم وإلا ضرب أعناقهم، فما كان من الفتية إلا أن استغلوا المهلة الممنوحة لهم فهربوا من المدينة صوب الجبال واختبئوا فى الكهف.

ولسنا ندرى لماذا خص ديكيوس هؤلاء الفتية بهذه المعاملة الطيبة دون غيرهم، ألأنهم ــ كما جاء فى القصة ــ كانوا صغار السن فأشفق عليهم من الموت!! أم لأنهم كانوا من الأمراء، كما قيل فى بعض الروايات، فعز عليه أن يقتلهم لتركهم دين آبائهم واعتناقهم المسيحية؟! وإذا افترضنا أنه عاملهم هذه المعاملة الخاصة، لأنهم كانوا صغار السن، فهل كانوا هم وحدهم الذين اعتنقوا المسيحية فى هذه السن المبكرة؟! إن من يقرأ تاريخ المسيحية سيجد أن أفراداً من مختلف الأعمار فى أفسوس وفى غيرها اعتنقوا المسيحية، ومنهم الصبية والشباب والشيوخ والكهول ذكوراً وإناثاً، أحراراً وعبيداً وثنيين ويهوداً. ومع ذلك لم نقرأ أن ملكاً ممن اضطهدوا المسيحيين أشفق على بعضهم لصغر سنه أو لكبره، أو لكونه أنثى أو لغير هذا وذاك ليس ذلك وحسب، بل إن وثائق الدولة الرومانية فى هذه الفترة وما كتبه المؤرخون عن الأحداث التى وقعت فيها لم تتضمن أى إشارة إلى أن ديكيوس أو غيره التقى بالفتية أو حادثهم أو أمهلهم، على الرغم من أننا نجد فيما كتب عن هذه الفترة الكم الوفير من الأحداث التافهة والعديمة القيمة.

وفيما يتعلق بالعقيدة التى كانت سائدة يوم لجأ الفتية إلى الكهف، فإنها كانت عقيدة عبادة الأوثان وهى العقيدة التى كانت عليها الإمبراطورية الرومانية منذ مئات السنين، قبل ميلاد المسيح، وبعد ظهور دعوته وحتى صدور مرسوم التسامح الدينى مع المسيحيين فى عهد قسطنطين عام ٣١٣ ميلادية، فلم تكن الحكومة الرومانية تفرض على أتباع الديانات الأخرى عبادة الإمبراطور، ولكن مجرد إحراق البخور أمام تمثاله باعتبار ذلك دليل الولاء للإمبرطور، وتوكيداً لهذا الولاء، فهو من ناحية أشبه ما يكون بيمين الولاء التى تطلب إلى من ينالون حق المواطنية فى هذه الأيام (٣) ومع ذلك فإن القانون الرومانى كان حتى عهد نيرون يعفى اليهود من أن يعبدوا الإمبراطور، ونال المسيحيون فى أول أمرهم هذه الميزة، لأنهم لم يكن يستطاع التفريق بينهم وبين اليهود، وكانت معارضة الدين الجديد قد جاءت من قِبَل الشعب أكثر مما جاءت من قِبَل الدولة، ذلك أن الحكام كانوا فى كثير من الأحيان رجالاً مثقفين متسامحين، ولكن جمهور السكان الوثنيين قد

---

(٣) قصة الحضارة الجزء الثالث من المجلد الثالث ص ٣٧٠.

ساءهم عزلة المسيحيين وتعاليهم وثقتهم بأنفسهم، وأهابوا بحكامهم أن يعاقبوا أولئك الملحدين الذين يهينون الآلهة (٤).

وما حدث فى عهد ديكيوس أو ديسيوس (٢٤٩ ميلادية) الذى يقال إنه أصدر أمره بإجبار المسيحيين على عبادته، لم يكن كذلك، وإنما الحقيقة كما يرويها ديورانت (٥) أن الإمبراطورية كانت منهمكة فى حرب عوان، تزعجها الهزائم المنكرة، وتتوقع أن يغزو بلادهم الأعداء وتجتاح الامبراطورية موجة من النشوة الدينية القوية عام ٢٤٩، ويهرع الرجال والنساء إلى الهياكل يحيطون بالآلهة ويضرعون إليها بالصلاة والدعوات، وفى وسط هذه الحمى التى تتأجج فيها نيران الوطنية والخوف، يقف المسيحيون عن بعد وقفة المشاهدين الذين لا يعنيهم الأمر، ويظلون كسابق عهدهم يستنكرون الخدمة العسكرية ويقاومونها، ويسخرون من الآلهة، ويفسرون انهيار الإمبراطورية بأنه هو البشرى التى وردت فى النبوءات عن تدمير «بابل» وعودة المسيح.

وأراد ديسيوس أن يتخذ من حال الشعب النفسية فرصة يستعين بها على تقوية روح الحماسة الوطنية والوحدة القومية فأصدر مرسوماً يطلب فيه إلى جميع سكان الإمبراطورية أن يتقدموا إلى آلهة روما بعمل يتقربون به إليها، ويردون به غضبها، ويلوح أن المسيحيين لم يطلب إليهم أن ينكروا دينهم، بل أمروا أن يشتركوا فى التوسل إلى الآلهة التى طالما أنجت روما من الخطر المحدق بها كما يعتقد العامة، واستجاب كثرة المسيحيين إلى هذا الأمر، ففى الإسكندرية كانت الدعوة عامة على حد قول الأسقف ديونيشيوس، وحدث ذلك بعينه فى قرطاجنة وأزمير، وأكبر الظن أن المسيحيين من أهل تلك المدن وأمثالها كانوا يرون أن هذا التوسل لا يعدو أن يكون نوعاً من الوطنية، ولقد امتد إضطهاد ديكيوس للمسيحيين إلى قيصرية أيضاً بفلسطين، فقبض على الفيلسوف أرجن عام ٢٥٠، وكان وقتئذ فى الخامسة والستين من عمره، ومُد على العذراء وقُيد بالأغلال، ووُضع فى عنقه طوق من الحديد، ولم يطلق سراحه إلا بعد موت ديكيوس ٢٥١ ميلادية.

وهكذا لا نجد فيما كتب عن عهد ديسيوس أو ديكيوس أى ذكر لتلميخا

(٤) المرجع السابق ص ٣٧٢.

(٥) المرجع السابق ص ٣٧٧

وزملائه ولا تصريحاً بأن ديكيوس أصدر أمره للمسيحيين أن يعبدوه، وكذلك فإن الإمبراطورية الرومانية فى كل عهودها لم تكن تعبد حكامها وحدهم، وإنما كانت تعبد الآلهة المتعددة، مثل ديانا وارتيس وجوبيتر وغيرها، فلا يصح القول إن أصحاب الكهف رفضوا عبادة الملك، فإنه حتى عام ٢٧٦ ميلادية، كانت روما هى عاصمة الدولة ومقر الحاكم وعليه فإن ديسيوس أو ديكيوس لم يكن يقيم فى أفسوس التى لم تكن فى أى وقت من الأوقات مقر الحاكم، حتى بعد أن انقسمت الامبراطورية الرومانية وأصبحت القسطنطينية أى بيزنطية كما كانت تسمى عاصمة للدولة الشرقية (عام ٣٣٠ ميلادية) كذلك فإن أحداً من سكان أفسوس، غير الأسقف جيمس الساروجى، لم يذكر ما وقع لأصحاب الكهف، على الرغم من أن هذه المدينة كانت من المدن الكبرى العامرة بالسكان والكنائس، بل إنها كانت معقلاً من معاقل المسيحية فى الفترة التى استيقظ فيها الفتية فى الكهف، ومقرًّا لواحدة من الكنائس الخمس الكبرى فى العالم المسيحى فى ذلك الوقت، وفيها من العلماء والمؤرخين ورجال الدين والفلاسفة وغيرهم الكثيرون الذين يستحوذ على اهتمامهم ويثير فضولهم مثل هذا الحدث الفريد، بل المعجزة.

ولقد بلغ من شهرة وذيوع صيت فلاسفة أفسوس أن يوليان الذى تولى الحكم بعد الإمبراطور قسطنطين، كان يتردد على أفسوس ابتداء من عام ٣٥١ ميلادية، ليدرس الفلسفة على فلاسفتها، وذلك قبل أن يصبح إمبراطوراً فى نهاية عام ٣٦١ ميلادية، فلما آل إليه الحكم أعلن ارتداده عن المسيحية إلى الوثنية، وأظهر تأثره الشديد بطقوس اليوسيز وأفسوس الرمزية (٦)، وكانت أفسوس مركزاً كبيراً للوثنية، إذ كانت تعبد فيها إلٰهة القمر التى كانت تسمى ديانا، وكان معبدها الكبير الضخم يعد من عجائب الدنيا فى قديم الزمان، ولذلك وجدت فيها أفكاربولس عن التثليث وموت الإله، ثم بَعْثِه-ترحيباً ورواجاً لمماثلتها للأفكار الوثنية، ويذكر أن بولس قضى فى هذه المدينة عامين يبشر بالدين الجديد. ولا يقتصر الأمر على الادعاء بأن الفتية كانوا ينتمون إلى أفسوس، بل إن هناك ادعاء آخر لا يقل عن هذا الادعاء مدعاة للسخرية، وهو أن جثمان السيدة العذراء يرقد داخل أفسوس،

---

(٦) قصة الحضارة الجزء الأول المجلد الرابع ص ٣٨.

على الرغم مما هو معروف من أن السيدة العذراء لم تغادر فلسطين، وأنها ماتت ودفنت بها، غير أن مسيحيى القرون الأربعة كانوا يجهلون هذه الحقيقة، بل إنهم لم يتصوروا، جرياً على ما زعم بولس عن قيامة المسيح وأنه إله وابن إله ــ أن أم الإله يمكن أن تموت وتدفن كما يدفن البشر. وقد ساعد على شيوع هذه البدعة ما رآه بعض الحجاج إلى بيت المقدس، حيث قصدوا ما قيل لهم إنه ضريح العذراء الذى وجدوه خاوياً، فقالوا إنها هى الأخرى بعثت من الموت وصعدت إلى السماء، وهى القصة التى اعترفت بها الكنائس اليونانية واللاتينية (٧).

ولقد ظلت أفسوس معقلاً للآراء الضالة التى تجعل من المسيح إلهاً وابن إله، ومن أمه إلهة حتى بعد إعدام بولس الذى وضع فى تربتها بذرة الشرك، فما لبثت أن نمت وترعرعت، ولقد بلغ نشاط رجال الدين فى أفسوس ذروته فى عهد ثيوديوس الأصغر الذى قيل عنه إنه هو الملك الصالح الذى استيقظ الفتية فى عهده، ونظراً لطول مدة حكمه، فقد عقدت فى عهده الطويل الذى بلغ اثنين وأربعين عاماً عدد من المجامع الكنسية، أولها الذى انعقد عام ٤١٨ ميلادية، وحضره الأساقفة، وقرروا فى نهايته أن (بلاجيوس) كافر وضال؛ لأنه قال: «إن الله، فى واقع الأمر، يعيننا على الخير بما ينزله علينا من الشرائع والوصايا، ولكنه لا يرجح كفة خسراننا، بأن يجعل الطبيعة البشرية آثمة بفطرتها، فلم تكن ثمة خطيئة أولى، ولم يكن هناك سقوط للإنسان، ولن يعاقب على الذنب إلا من ارتكبه، ولن ينتقل منه جرم إلى أبنائه» وقد أغضب هذا الكلام الكنيسة فقضت بحرمانه.

كذلك يبدو حماس أهل أفسوس لهذه الأفكار التى روجتها الكنيسة، من موقفهم المعادى لنسطوريوس أسقف القسطنطينية (٤٢٨ ميلادية) الذى قال: إن مريم لم تكن أم الطبيعة الإلهية فى المسيح، بل أم طبيعته البشرية، وإن خيراً من تسميتها بأم الله أن تسمى أم المسيح، فقد قام سكان أفسوس بمظاهرات صاخبة يعلنون فيها ابتهاجهم بقرار الحرمان الذى أصدره مجمع أفسوس (عام ٤٣١ ميلادية). ويقول ديورانت: «وكانت مظاهرات أحيت بلا ريب ذكريات ديانا ــ أرتميس» (٨).

(٧) جيبون، المرجع السابق جـ٢ ص٥٠٦.

(٨) المرجع السابق ص١٠١.

ثم عقد الإمبراطور ثيوديوس مجلساً آخر فى أفسوس (عام ٤٤٩ ميلادية) أصدر قراراً بلعن كل من يقول بوجود طبيعتين للمسيح، أى الطبيعة الإلهية والطبيعة البشرية، أو كما يقولون الناسوتية واللاهوتية، وقرر أن للمسيح طبيعة واحدة هى الطبيعة الإلهية.

وهكذا نلاحظ أن أفسوس سواء قبل أن يستيقظ الفتية أو بعد استيقاظهم، لم تكن تؤمن بالله الواحد، بل العكس هو الصحيح، فقد كانت معقلاً للشرك، تحارب كل صاحب رأى يدعو إلى إعادة النظر فى مبدأ التثليث، أو فى علاقة المسيح بالله، أو فى طبيعة المسيح، أو فى علاقته بأمه مريم العذراء.

أما الملك الذى قيل إنهم استيقظوا فى عهده واسمه ثيوديوس الثانى أو الأصغر، والذى وصف فى كثير من كتب التفسير الإسلامية بأنه كان مَلِكا صالحاً تقيًّا، بل وصف أيضاً بأنه كان مسلماً، فإننا سنكتفى بما ذكرته كتب التاريخ الغربية عنه لنعرف مدى صحة الأوصاف التى أضفاها المؤرخون والمفسرون المسلمون عليه.

يقول عنه وليم لانجر(٩): «كان حاكماً ضعيفاً خضع لسيطرة أخته بولكيريا Poicheria وقد تولى الحكم فى عام ٤٠٨ خلفاً لأبيه اركاديوس إمبراطور الشرق، وقد ظل حتى وفاته عام ٤٥٠ خاضعاً لأخته التى كانت قد تزوجت ماركيانوس أحد قواد الجيش اللامعين، فلما مات ثيودوسيوس تولى حكم الإمبراطورية، وكان ثيودوسيوس فى السابعة من عمره حين مات أبوه الملك أركاديوس الذى كان قد ترك وصية تقضى بوضع ولى عهده تحت وصاية الملك يزدجرد الفارسى، فتولت أخته بولكيريا الحكم ولم تكن تكبره بأكثر من عامين، وقد ظلت تحكم الإمبراطورية الشرقية قرابة الأربعين عاماً طوال الفترة التى كان فيها أخوها قاصراً، وبعد وفاته، وذلك باسمها وباسم ماركيانوس الذى كان زوجها بالاسم فقط، ويقول (جيبون) عن ثيودسيوس: إنه كان يهتم بألوان التسلية التافهة والدراسات غير المجدية، وكان الصيد هو النشاط الوحيد الذى يغريه على تجاوز حدود القصر؛ لأنه كان كسولاً قاعد الهمة، وأنه أى ثيودوسيوس عبد فى ورع وخشوع من مات ومن

---

(٩) موسوعة تاريخ العالم جـ ١ ص ٣٣٣.

كان حيًّا من قديسى الكنيسة الكاثوليكية، وحدث مرة أن راهباً وقحاً أصدر ضد مليكه حرماناً كنسياً، فرفض أن يتناول الطعام حتى يتنازل الراهب بشفاء الجرح الروحى الذى أصابه به (١٠).

وإذا كنا لانستطيع أن نحمل ثيودسيوس المسئولية باعتباره ملكاً عن القرار الذى أصدره مجلس الأساقفة الذى انعقد فى أفسوس عام ٤١٨ ميلادية، وقضى فى نهايته بإدانة (بلاجيوس) بتهمة الكفر والزيغ والضلال؛ لأن ثيودسيوس كان يومئذ فى التاسعة من عمره لا يمارس أى سلطات حقيقية، فإننا لا يمكن أن نخليه من المسئولية عن القرار الأهم والأخطر الذى أصدره مجمع أفسوس الذى انعقد عام ٤٣١ ميلادية، وأدان فيه نسطوريوس أسقف القسطنطينية، وأصدر قراره الشهير بوحدة طبيعة المسيح الإلهية، أى أنه إله وأن أمه إلهة أيضاً. فقد كان ثيودوسيوس يومئذ فى الثلاثين من عمره يتولى سلطاته كاملة، بل إنه خط بيده مرسوماً يضع نسطوراً فى مرتبة الساحر سيمون، ويحظر آراءه ويحرم أتباعه من حماية القانون، ويحكم على كتاباته بالحرق، ويقرر نفيه إلى البطراء فى بلاد العرب، ثم فى نهاية الأمر إلى واحة فى الصحراء الليبية، ليس ذلك فحسب، بل إنه فى عام ٤٤٩ ميلادية، وقبل موت ثيودسيوس بعام واحد، انعقد مجلس آخر فى أفسوس أصدر قراراً بلعن كل من يقول بوجود طبيعتين للمسيح؛ لأن للمسيح طبيعة واحدة هى الطبيعة الإلهية، وقد دافع ثيودسيوس دفاعاً حاراً عن قرارات هذا المجمع، وعارض البابا ليو الذى وصف هذا المجمع بأنه مجمع اللصوص.

فهل يمكن بعد هذا أن نصف ثيودسيوس بأنه كان ملكاً صالحاً مسلماً، يؤمن بالله، وأنه دعا الله أن يظهر معجزة ترد الناس إلى الإيمان بالبعث واليوم الآخر!!

النتائج التى أسفر عنها التحليل

ومن تحليلنا لقصة النيام السبعة يتبين الآتى:

أولاً: أنه لم يكن هناك ملك يأمر الناس أن تعبده من دون الله، وإنما كان هناك أمر من الإمبراطور الرومانى ديكيوس أو ديسيوس لرعايا الدولة الرومانية أن يتقدموا إلى آلهة روما بعمل يتقربون به إليها، ويردون به غضبها.

(١٠) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها الجزء الثانى ص ٢٤٩.

ثانياً: كانت عقيدة الدولة الرومانية هى عقيدة الوثنية، وليس عقيدة عبادة الملك، فهم وثنيون يعبدون آلهة متعددة.

ثالثاً: أن ديسيوس أو ديكيوس لم يكن يقيم فى أفسوس، وإنما كان مقره ــ مثل الأباطرة الرومان ــ فى روما، ومن ثم فإنه لا يتصور أن يحضر من روما إلى أفسوس ليقابل فتية لا أهمية لهم ليناقشهم فى عقيدتهم ويمهلهم للرجوع إلى دين آبائهم، وكان الأولى به، لو أننا افترضنا أنه حضر خصيصاً من روما إلى أفسوس لمقابلتهم ــ أن يسافر إلى قيصرية ليقابل فيلسوفاً كبيراً ورجل دين مرموقاً هو أرجن الذى أمر بحبسه وتعذيبه لاعتناقه المسيحية.

رابعاً: أن أفسوس لم تكن المكان الملائم لظهور إحدى معجزات الله، فأهلها جبلوا على عبادة الأوثان، وكان اعتناقهم للمسيحية فى صورتها المحرفة التى وضع أسسها بولس، فهم يعبدون مع الله إلهين هما المسيح وأمه العذراء، وقد بينا كيف أن سكان أفسوس ثاروا ضد كل صاحب رأى، يرمى إلى إعادة النظر فى طبيعة المسيح وأمه.

خامساً: أن الملك الذى استيقظوا فى عهده لم يكن مسلماً صالحاً، أو حتى مسيحيًّا سليم العقيدة، بل كان مشركاً، صدرت فى عهده قرارات كنسية تقرر الطبيعة الإلهية للمسيح ولأمه التى اعتبرتها هذه القرارات إلهة، كما أن أفسوس لم تكن قد تحولت إلى الإسلام أو حتى العقيدة المسيحية الصحيحة التى تقوم على مبدأ أن المسيح بشر ورسول فحسب، وأن أمه قديسة ليس إلا. ولم تكن شخصية ثيودسيوس التافهة لتسمح لمثله بأن يفكر فى البعث أو الحشر والنشر كما قيل.

سادساً: أن أثر حادثة الكهف، إذا كانت قد وقعت حقيقة فى أفسوس، لم يظهر فى أى صورة، بل العكس هو الصحيح، فقد انعقدت المجامع المسيحية وأصدرت قراراتها التى تتهم بالكفر والزيغ والضلال كل من يجرؤ على إبداء رأى فى الطبيعة الإلهية للمسيح.

وفضلاً عن هذه الأسباب التى تجعلنا نستبعد أن تكون حادثة الكهف قد وقعت فى أفسوس، فإن هناك أسباباً أخرى بعضها مستمد من الطريقة التى ذكرت القصة المسيحية أن الفتية حُبسوا بها فى الكهف، والبعض الآخر مستمد

من أوصاف الكهف كما وردت فى القرآن الكريم، ومدى مطابقتها لما قيل إنه قد تم الكشف عنه فى أفسوس من كهف زعم أنه هو الكهف الذى أوى إليه الفتية.

والبعض الثالث مستمد من تاريخ الديانات والنبوات والمعجزات، وما قيل من أن أحداثها جميعاً قد جرت فى منطقة معينة لم تتجاوزها إلى سواها، مما يدخل فيه أفسوس التى زعم أن معجزة الكهف وقعت فيها، ولعل الذى دعانا إلى بحث هذا الموضوع ما ورد بكتاب الأستاذ المودودى الذى شرح فيه سورتى الكهف ومريم، حيث قال: «وقد اعترض البعض بأن القصة جرت فى مدينة من مدن آسيا الصغرى، والقرآن لا يبحث فى الوقائع التى وقعت خارج أرض العرب. ومن هنا الإقران بين هذه القصة المسيحية، وبين أصحاب الكهف انحراف عن أسلوب القرآن».

والذى أراه هو أن هذا الاعتراض غير صحيح، حقيقة أن القرآن قد التزم فى سوق العبر لأهل الجزيرة العربية بالحديث عن أحوال ما كانوا يعرفون من الأقوام والطاقات والقوى، بقطع النظر عن كونهم داخل حدود أراضيهم أم خارجها، وعلى هذا تكلم عن تاريخ مصر القديم مع أن مصر تقع خارج حدود بلاد العرب، فالسؤال إذن هو: إذا كان من الممكن أن يذكر فى القرآن أحوال مصر وأوضاعها، فلم لا يأتى فيه ذكر الروم، وقد كان العرب يعرفون الروم كما يعرفون مصر، وكانت حدود الدولة الرومانية تلتقى بحدود الحجاز الشمالية (١١).

والذى لا شك فيه أن رد الأستاذ المودودى على من قالوا إن القرآن لا يبحث فى الوقائع التى وقعت خارج أرض العرب سليم؛ لأن التسليم بصحة هذا القول يعنى التسليم بأن الإسلام إنما جاء من أجل العرب فقط، فى حين أنه جاء للعالمين:

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (١٢).

---

(١١) المرجع السابق، صفحة ١٩ ــ ٢٠.

(١٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

ومن ثم فإن الوقائع التى وردت به إنما جاءت للعرب ولغيرهم ممن هداهم وممن سيهديهم الله إلى الإسلام.

إلا أن الأستاذ المودودى، فى رده، اهتم بإثبات أن القرآن التزم بسوق العبر لأهل الجزيرة بالحديث عن أحوال ما كانوا يعرفون من الأقوام والطاقات والقوى، بقطع النظر عن كونهم داخل حدود أراضيهم أم خارجها. وهذا الكلام يفهم منه أن القرآن اهتم بالعرب دون غيرهم، وهذا ليس صحيحاً كما ذكرنا، وإلا لكان معناه أن القرآن إنما جاء للعرب دون سواهم.

كذلك يفهم من معارضة المودودى رحمه الله لرأى القائلين بأن القرآن لا يبحث فى الوقائع التى وقعت خارج أرض العرب، واستدلاله بما ورد به خاصاً بالمصريين والروم لإثبات العكس، أنه يؤيد الرأى القائل بأن النيام السبعة هم أصحاب الكهف؛ لأنه ليس هناك ما يمنع من أن يبحث القرآن فى الوقائع التى وقعت خارج أرض العرب، وهذا ما نختلف معه فيه، ففرق بين إثبات أن القرآن يهتم بكل الوقائع ما كان منها فى أرض العرب وما كان منها خارج هذه الأرض، وبين أن نؤكد أن النيام السبعة هم أصحاب الكهف، وأن الكهف الذى أووا إليه يوجد فى أفسوس، إلى غير ذلك مما تضمنته القصة المسيحية، فبالإضافة إلى ما ذكرناه من أسباب استخلصناها من دراستنا للظروف التى كانت سائدة فى الوقت الذى قيل إن الفتية أووا فيه إلى الكهف، والوقت الذى استيقظوا فيه، نجد أن كل العقائد والنبوات والمعجزات وغيرها مما يتعلق بصلة المخلوق بالخالق، قد جرت فى منطقة معينة لم تتعدّها، بحيث يبدو هذا الأمر وكأنه قاعدة مطلقة لم يرد عليها أى استثناء، اللهم إلا ما قيل عن أن معجزة أهل الكهف قد وقعت فى أفسوس، وهو ما يشكك فيه بعض المفكرين الغربيين الذين يعتبرون العقائد والأديان نقيصة أو عيباً ينزهون الغرب عنه، ويسجلونه على سكان الشرق بطريقة تنطوى على التهكم والسخرية، ومن هؤلاء (ت.أ. لورنس) الذى أطلق على أهل الشرق لقب «محتكرى الأديان المنزلة» وقال عنهم: «إن صناعتهم الأساسية هى المعتقدات». وهو مالاحظه أيضاً بعض المهتمين بنشأة الأديان، وهو أن العنصر السامى أى المتكلمين باللغات السامية كالآرامية والعبرية والعربية اعتاد انبثاق الأديان المنزلة كاليهودية والمسيحية والإسلام (١٣).

(١٣) مورو بيرجير، العالم العربى اليوم ٣١.

وعلى ذلك فإن حادثة أهل الكهف، إذا صح ما قيل عن أنها وقعت فى أفسوس، تكون أول استثناء على هذه القاعدة.

وعلى الرغم من أننا لسنا من أنصار العنصرية، بحيث نذهب إلى جعل النبوات والمعجزات وقفاً على جنس دون جنس، خاصة وأن ما ورد بالقرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (١٤).

يدل على أن الجماعات البشرية على اختلافها، سواء فى الغرب أو فى الشرق قد ظهر فيها الأنبياء، إلا أننا ـ فى ضوء ما كشفت عنه الدراسة ـ نستبعد أن يكون ما حدث من هروب الفتية إلى الكهف ونومهم فيه، ثم انبعاثهم بعد ثلاثمائة سنة وتسع قد حدث فى أفسوس، وفى الظروف التى ذكرها المفسرون، وفيما يتعلق بالطريقة التى لجأ بها الفتية إلى الكهف، ثم ما قام به الملك من إصدار الأمر بإغلاقه عليهم بواسطة الأحجار الضخمة، قاصداً من ذلك إزهاق أرواحهم بمنع الهواء عنهم فضلاً عن الطعام والشراب، فإنه من الواضح أن الذى روى القصة على هذا الوجه لم يفطن إلى الحكمة الكامنة فى الحدث، والطبيعة المتميزة للمعجزة. وهذا يدل على أنه سمع بالقصة كما يسمع الصغار (الحواديت) فلم يمعن النظر فيها، ولم يحاول أن يتدبرها بعقله، ولو أنه فعل لأدرك أن هناك فرقاً كبيراً بين الموت والنوم، فما حدث للفتية طبقاً لما ذكره (جيمس الساروجى) هو موت وليس نوماً؛ لأنهم بمنع الهواء عنهم سيختنقون، ومن ثم لا يجوز اعتبارهم نياماً، ولا يجوز أن نسمى قصتهم قصة النيام السبعة. وهذا هو الفرق الجوهرى بين قصة أصحاب الكهف، كما وردت فى القرآن، وقصة النيام السبعة، فهؤلاء ماتوا ولم يناموا، فى حين أن أولئك، أى أصحاب الكهف، لم يموتوا، وإنما ظلوا أحياء يتنفسون ويتقلبون، يدخل إليهم ضوء الشمس دون حرارتها اللاهبة. وهذا هو جوهر المعجزة التى أراد الله بها أن يظهر قدرته للناس فى صورة مختلفة عن معجزة إحياء الموتى التى حدثت مع العزير، ثم بعد ذلك لما أذن الله تعالى لعيسى بن مريم أن يحيى الموتى:

---

(١٤) سورة فاطر، الآية ٢٤.

﴿ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (١٥).

ولكن عيسى عليه السلام لم يفعل ما فعله الله تعالى بأصحاب الكهف فى القصة القرآنية إلا إذا أذن له الله، من ناحية، وأطال فى عمره المدة الكافية لبعثهم بعد نومهم الطويل، وقد يقول البعض: وما الفرق بين أن يكونوا قد ماتوا أو ناموا بعد إغلاق الكهف عليهم؟ أليس الأمر سواء، طالما أن الله قد بعثهم أحياء فى هيئتهم التى دخلوا عليها الكهف؟.

وردنا على هؤلاء هو أننا لسنا الذين نصر على أن هناك فرقاً بين الحالتين لمجرد العناد والمكابرة، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذى أراد أن يكون هناك هذا الفرق، وإلا لما ذكر فى القرآن الكريم حالهم فى الكهف يتقلبون، وهذا يعنى أنهم لم يكونوا ميتين، ووصفه لحال الكهف والكلب باسط ذراعيه على بابه المفتوح والشمس تميل عنه فى شروقها وفى غروبها، فلو أنهم كانوا ميتين لما كان هناك مبرر بأى حال لذكر هذه الأوصاف فى القرآن، ولكنها ذكرت لبيان الاختلاف بين معجزة بعث الموتى كما حدثت للعزير مثلاً، ومعجزة بعث النيام كما حدثت لأصحاب الكهف، فضلاً عما تضمنته الأوصاف من بيانات علمية على جانب كبير من الأهمية لم يفطن إليها العلماء إلا أخيراً، ومنها اختيار الموقع الأمثل للسكنى، والذى يكفل للمقيمين فيه الحياة الصحية، وأهمية التقلب أثناء النوم الطويل وبالذات فى حالة المرض، حتى لا يتلف الجانب الذى ينام عليه المريض مدة طويلة، وهكذا.

هذا بالإضافة إلى ما لهذه المعجزة من طبيعة خاصة يكشف عنها الوضع الذى كان عليه الفتية أثناء نومهم، فقد كان الكهف مفتوحاً وعلى بابه كلب باسط ذراعيه، وهم بداخله يتقلبون، وهذه بلا شك أحوال مقصودة وليست مجرد أوصاف لما كانوا عليه، وإلا لكان سواء أن يكون الكهف مغلقاً أو مفتوحاً، ولكان سواء أيضاً أن يكون كلبهم معهم بداخله أو بعيداً عنهم على بابه، وسواء كذلك أن يتقلبوا أو ألا يتقلبوا، وسواء أيضاً أن يكون مظهرهم سبباً للرعب لدى من يقطع نظره عليهم أم لا (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم

(١٥) سورة آل عمران، الآية ٤٩.

رعباً)(١٦). فمع قدرة الله سبحانه وتعالى على أن يبقيهم أحياء داخل الكهف، ثم يبعثهم من نومهم فى الوقت المحدد، وهو القادر على أن يبعث الموتى وقد استحالوا إلى رفات وعظام، إلا أنه أراد أن يبقوا بهيئتهم بداخل الكهف يتقلبون كالنيام، والأيام تمضى والسنوات تنصرم والقرون تتعاقب، وهم على حالهم التى دخلوا بها الكهف، وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى أراد ذلك لحكمة، ولم يكن الأمر مجرد وضع فرضته الطبيعة الإنسانية، وحياة البشر التى تحتاج لكى تستمر إلى الضوء والهواء والحركة أثناء النوم، وكلها مما يقدر الله على توفيره لهم حتى ولو كان الكهف مغلقاً بالصورة التى وصفتها القصة المسيحية، بل إن الله سبحانه وتعالى لو أراد لبعث غيرهم من قبورهم، أو لأماتهم هم أنفسهم ثم بعثهم.

ثم إننا نسأل ـ ولنا الحق فى ذلك ـ كيف علم الناس الذين عاينوا بعث الفتية فى الكهف أنهم كانوا قد ماتوا، ولم يكونوا نائمين شأنهم شأن الأحياء من الناس؟ ألا يحتمل أنهم ماتوا بعد سد الباب عليهم بالحجارة، ثم بعثهم الله ساعة فتحه؟ وإذا قيل: ولكنهم قاموا بهيئتهم التى كانوا عليها دون أن يتأثروا بمضى السنين، سواء من حيث صورتهم، أو من حيث شكل وحالة ثيابهم، فإننا نرد على هذا القول بأن ذلك ليس بمانع من أن يكونوا قد ماتوا، فعوامل البلى لا يحول دونها ودون إحداث آثارها أن يكونوا موتى أو نياماً. ومعنى هذا أن إبقاءهم أحياء وهم نيام فى الكهف هو جوهر المعجزة الذى يجعلها تختلف عن معجزة البعث من الموت، ومن ثم فإن الحكمة تختلف فى الحالين، وهو ما سوف نوضحه عندما نتناول تفسير قصة أهل الكهف فى الفصل التالى. ولكن الذى يهمنا فى هذا الصدد أن نبين أن تسمية القصة المسيحية بالنيام السبعة يناقض تماماً الوصف الذى ورد بشأن لجوء الفتية إلى الكهف، وصدور الأمر من الملك بإغلاقه عليهم بالحجارة الضخمة.

أما بشأن الكهف نفسه، فإنه بالصورة التى وردت بالقصة المسيحية، ثم بالرجوع إلى ما قيل من أن الكهف الذى لجأ إليه الفتية قد عثر عليه فى ضواحى مدينة أفسوس، يتبين أنه ليس هو الكهف الحقيقى بأى حال، بل ولا أى كهف

(١٦) سورة الكهف، الآية ١٨.

آخر غيره مما يوجد فى هذه المنطقة، فقد تبين من الفحص الذى قام به أحد خبراء الأمم المتحدة ويدعى (شارلس هورتون) لكهف أفسوس الآتى:

١ــ إن الشمس تدخل من بابه فتطول من بداخله؛لأنه يقع فى الشمال الشرقى.

٢ــ إنه لا توجد فجوة بداخله تسمح للفتية بالاختفاء فيه.

٣ــ إنه لا يوجد لا فوقه ولا بالقرب منه المسجد (المعبد) الذى ورد ذكره فى القرآن الكريم.

٤ــ إنه لم يعثر بداخله على أى أثر للمدافن التى دفن فيها الفتية بعد موتهم.

وحتى مع استبعاد ما ورد بالقرآن الكريم خاصاً بأوصاف الكهف وموقعه مما لم يرد فى القصة المسيحية والاقتصار على ما ورد بهذه القصة بشأن الكهف، فإننا نلاحظ أن تقرير خبير الأمم المتحدة نفى وجود فجوة بداخل الكهف المزعوم تسمح للفتية بالاختباء فيه نياماً، ومعنى هذا أنهم قضوا قرابة القرنين وقوفاً وقد سد الباب عليهم. هذا إذا غضضنا النظر عما ورد فى القصة المسيحية من أن جنود الملك لما طاردوا الفتية فى الكهف عجزوا عن الوصول إليهم، فكيف حدث هذا والكهف ليس به فجوة؟ كذلك فإن خبير الأمم المتحدة لم يعثر، لا هو ولا غيره ممن عاينوا الكهف المزعوم، على أى أثر لمدافن أو قبور الفتية على الرغم مما ورد بالقصة المسيحية من أنهم عقب التقاء الملك بهم ماتوا،فأمر بدفنهم حيث هم. فإذا كان ذلك صحيحاً فأين دفنوا وليس بالكهف مكان يتسع لدفنهم؟

وإذا كانوا قد دفنوا فعلاً فأين الآثار التى تدل على ذلك، سواء أكانت أجداثهم أم رفاتهم أم حتى القبور التى دفنوا فيها؟

لعلنا بهذا نكون قد بينا بما لا يدع مجالاً للشك أن القصة التى رواها (جيمس الساروجى) ليست هى القصة الحقيقية، وأن ما فيها لا يتجاوز واقعة لجوء عدد من الفتية إلى كهف من الكهوف فراراً بدينهم، أما ما عدا ذلك فقد اختلقه هذا الأسقف، كاسم الملك الذى وقعت حادثة اللجوء إلى الكهف فى عهده، واسم الملك الذى استيقظوا فى عهده، واسم الفتية، وموقع الكهف وكيفية إغلاق الكهف عليهم، وما زعمه من أن ثيودوسيوس كان ملكاً صالحاً دعا الله أن يريه معجزة ترد الناس إلى الإيمان بالبعث، وإلى غير هذا وذاك من الأكاذيب التى أضافها الرجل إلى ما سمعه عن الفتية فى طفولته، فما كان منه عندما بلغ درجة الأسقفية

إلا أن خصص إحدى عظاته لترويج القصة التى نسجها خياله ومضى يرددها، وتلقفها منه أسقف ليون وأمر بترجمتها وترديدها على أسماع المترددين على الكنائس.

ومن يقرأ تاريخ الكنيسة المسيحية الكاثوليكية فى الفترة التى أذاع فيها (جيمس الساروجى) هذه القصة، يلاحظ أنها كانت فى حاجة ماسة إلى مدد جديد يدعم من مكانتها لدى الناس، وتواجه به الشك الذى بدأ يساورهم فى صحة هذه العقيدة التى تكونت من خليط من الأساطير والحقائق التى استعارها مؤسسو الديانة من بلدان وثقافات مختلفة. فوجد (جيمس الساروجى) ومن بعده (جريجورى) أسقف مدينة «تور» فى قصة النيام السبعة، أو أصحاب الكهف ضالتها المنشودة وبادرا: جيمس أولاً بصياغته للقصة صياغة تلائم الأفكار المسيحية، ثم جريجورى بترجمتها ونشرها وإضافتها إلى التراث المسيحى وترويجها.

والواقع أن هذا ليس من قبيل الاستنتاج، وإنما هو تفسير للكيفية التى ظهرت بها القصة فى التراث المسيحى، يتفق تماماً مع المنهج الذى انتهجه آباء الكنيسة منذ بولس الذى وضع أسسها وصاغ مبادئها ورتب أفكارها. فقد انتقلت الطقوس اليونانية إلى طقوس القداس الخفية الرهيبة، وجاءت من مصر الفرعونية آراء الثالوث المقدس، وعبادة أم الطفل، ونظام الأديرة. ومن فريجيا جاءت عبادة الأم العظمى، ومن سوريا أخذت تمثيلية بعث أوتيس. وربما كانت تراقيا هى التى بعثت للمسيحية بطقوس ديونيتس، وموت الإله ونجاته، ومن بلاد فارس جاءت عقيدة رجوع المسيح وحكمه للأرض ألف عام وعصور الأرض واللهب الأخير الذى سيحرقها وثنائية الشيطان والله والظلمة والنور.

فمن عهد الإنجيل الرابع يصبح المسيح نوراً «يضىء فى الظلمة والظلمة لم تدركه» كذلك ومن عبادة ديونيتس وايئس ومتراس أخذت المسيحية الطقس الذى يقوم فيه القس بمباركة الخبز والخمر على أساس الاعتقاد بأنهما كانا هما لحم المسيح ودمه أو أنهما يمثلان لحمه ودمه، وهو ما كان شائعاً لدى عبادة ديونيتس وايئس ومتراس الذين كانوا يقيمون المآدب التى يأكلون فيها الأجساد المسحورة لآلهتهم، أو رموز هذه الأجساد.

ولقد أدى التشابه بين الطقوس المتراسية والقربان المقدس فى القداس إلى حدٍّ

أحرج الآباء المسيحيين فلم يجدوا له تفسيراً أو تبريراً إلا الزعم بأن إبليس هو الذى ابتدعه ليضل به ضعاف العقول (١٧).

كذلك أخذت الكنيسة من روما الوثنية العادات والمراسيم الدينية التى كانت سائدة فيها قبل قيام المسيحية كالبطرشيل وغيره من ثياب الوثنيين، واستعمال البخور والماء المقدس فى التطهير، وإيقاد الشموع، ووضع ضوء دائم لا ينطفى أمام المذبح، وعبادة القديسين وهندسة الباسلقا، وقوانين دوما التى اتخذتها الكنيسة أساساً للقانون الكنسى، ولقب الحبر الأعظم Pontifex Maximus الذى أطلق على كبير الأساقفة، مضافاً إلى اللغة اللاتينية التى أضحت فى القرن الرابع تؤدى بها الشعائر الكاثوليكية، بل كان أهم من هذا كله نظام الحكم الواسع المماثل لما كان قائماً قبل المسيحية من الجمع بين السلطة الزمنية والدينية فى يد القيصر أو الإمبراطور الوثنى، فبعد عجز السلطة الزمنية أمام مؤامرات الأساقفة والباباوات ومكائدهم لم يلبث هؤلاء، لا الحكام الرومان، أن أصبحوا هم مصدر النظام ومركز القوة والسلطان فى مدائن الإمبراطورية (١٨).

فإذا كان هذا هو أسلوب رجال الكنيسة منذ البداية، وهذا هو منطقهم، فما الذى جد فى القرن الخامس حتى يمنعهم من اللجوء إلى نفس الطريقة لدعم العقيدة التى تعرضت للضعف والاهتزاز، فيستعير أحدهم أو بالأحرى أحد كبرائهم، قصة حدثت فى مكان آخر لم يكد يسمع بها أحد إلا عدد قليل من الناس الذين يقيمون فى صحراء لا يكاد يطؤها أحد فيزعم أنها حدثت فى «أفسوس» حيث مقر إحدى أكبر خمس كنائس فى العالم المسيحى، وحيث نشب الخلاف بين الناس حول أمور خطيرة تعد من المبادىء الأساسية التى قامت عليها الكنيسة.

ويمكن القول إن انتحال «جيمس الساروجى» بتشجيع من جريجورى أسقف كنيسة تور لمعجزة أهل الكهف، إنما كان بدافع من الرغبة الدفينة لدى الآريين فى مناوأة الساميين ومنافستهم فى ميدان، ظل لحقبة طويلة من التاريخ، حكراً عليهم، هو ميدان النبوات والديانات والمعجزات فأرادوا من ناحية، أن يكون لهم

---

(١٧) ول ديورانت المرجع السابق، صفحة ٢٧٥.

(١٨) المرجع السابق، صفحة ٣١٩.

نصيب فيه، ومن ناحية ثانية أن يدعموا عقيدتهم التثليثية بالادعاء أن فتية من الرومان يعتنقون المسيحية التثليثية كانوا موضوعاً لمعجزة عظيمة، حيث فروا بعقيدتهم هذه من حاكم وثنى إلى الكهف، فناموا فيه لمدة طويلة، ثم بعثوا من نومهم ليجدوا أن عقيدة التثليث قد انتصرت، وأن الصليب المظفر يعلو أبواب المدينة ومبانيها.

ولم تكن تلك هى المحاولة الأولى التى يقوم بها رجال الدين المسيحيون لدعم المسيحية، بل سبقتها محاولات كثيرة جرت على امتداد القرنين الثالث والرابع الميلاديين، استهدفت دعم المسيحية بما كانوا يسمونه «الآثار المقدسة» والمعجزات، وكان «أمبروز» أو كما يسمونه «القديس أمبروز» المتوفى سنة ٣٩٧ ميلادية، فى صراعه من أجل هزيمة المذهب الأريوسى الذى لقى ترحيباً من كثيرين من الناس، هو أول من نمى بطريقة منظمة حركة جمع الآثار المقدسة، وكانت مدينة ميلانو فقيرة من هذه الناحية فلم يكن لها شهداء يحفظونها من المخاطر والكوارث، فى حين أن روما كان يوجد بها الثنائى الذى لا يقهر، على حد اعتقاد بعض المسيحيين وهما القديس بطرس والقديس بولس ــ فى حين أن القسطنطينية كان بها القديسون «اندراوس» و«لوقا» و«تيموثى»، وخلال خمسين أو ستين سنة أجريت اكتشافات مدهشة فى أورشليم منها ما انتهى إلى الكشف عن جسد القديس أسطفانوس، ورأس يوحنا المعمدان، وكرسى القديس جيمس، وسلسلة القديس بولس، والعمود الذى استخدم فى جلد المسيح، ومنذ سنة ٣٢٦ اكتشف الصليب الذى صلب عليه المسيح، بل الأكثر من هذا أنهم ادعوا العثور على أظافر المسيح.

وخلال العقود الأخيرة من القرن الرابع كانت هناك موجة من الاكتشافات والتزوير، والسرقات والاتجار فيما يسمى كنوز الكنيسة أو الكنوز المقدسة، وقد بذل الوثنيون ما فى وسعهم للحد من هذه الجرائم التى كانت ترتكب باسم الدين، وأعلن الكاتب «فوتيوس» إدانته للمسيحيين لقيامهم ببساطة شديدة بإحلال «الشهداء» محل أصنام الوثنية ولإحيائهم لفكرة المعجزات تحت اسم آخر(١٩). كما أن كتاباً مسيحيين آخرين عبروا عن قلقهم مما كان يحدث، مثل الكاهن

Paul Johnson, A History of Christianity, Athenuem, Niw York 1983, P 106.

«فيجيلنتوس Vigilontius» الذى اعترض على مزاعم الكنيسة بشأن المعجزات واستغلالها للآثار المقدسة لإغراء العامة بالتردد على الكنائس، وتشجيعهم على تقبيل تلك الآثار، كذلك فقد أقدم كثير من الرهبان على سرقة مخلفات القديسين وبيعها، وكثر نهب القبور وسرقة مافيها من أجساد، مع ماقد يوجد معها من أشياء ثمينة وبيعها للناس على أنها آثار قديسين، مما دفع الإمبراطور ثيودوسيوس إلى إصدار أوامره التى تقضى بتحريم نقل أجساد الموتى من مكان إلى مكان، وتحريم بيع الآثار المقدسة، وآثار الشهداء أو نقلها.

والغريب فى الأمر حقاً أنه فى عهد «ثيودسيوس» صدر قرار بإباحة إقامة الكنائس على قبور القديسين، فكان ذلك بمثابة الأساس الذى قامت عليه نظرياً وعلمياً عبادة الآثار المقدسة، وكان العالم فى حالة فزع من الشياطين، فأصبح على يدى «أمبروز» مرتبطاً بآلهة الوثنيين وبشياطين الهراطقة وبالعظام وبغيرها من آثار القديسين التى ساد الاعتقاد بأنها تحمى من الشياطين، وأصبحت أى كنيسة تستحوذ على شىء من تلك الآثار تستأثر بالحماية، وينال كاهنها الاهتمام والحظوة، ويصبح له مكانة هامة وكلمة مسموعة فضلاً عما يحصل عليه من مال من رعايا الكنيسة، وبالرغم من كل هذه المساوىء فإن «أمبروز» ظل يشجع نظام «الآثار المقدسة» وادعى اكتشافه للهيكل العظمى للقديسين «جرفاسيوس» Gervasius وبروتاسيوس Protasius.

وبعد موت «أمبروز» ظهر أسقف آخر لا يقل عنه حماساً للاختلاق والتزوير هو «جريجورى» أسقف مدينة «تور» بفرنسا، الذى وجد ضالته فى «جيمس الساروجى» أسقف «ساروج» الذى زور قصة النيام السبعة، وادعى ما ادعاه بشأنها، فقد بادر «جريجورى» إلى ترجمة القصة إلى اللاتينية وأذاعها فى أوربا، وكان له فضلاً عن ذلك محاولات أخرى أراد أن يبارى فيها سلفه «أمبروز» حيث ادعى أنه أثناء قيامه بمراسيم القداس سقطت كتلة من سقف الكنيسة على رءوس، أو بالأحرى، جماجم بعض الشهداء التى كانت بالكنيسة فكشطتها فإذا بالدم يتدفق منها! وغير هذا الكثير مما افتراه «أمبروز» و«جريجورى» وغيرهما من أساقفة الكنيسة، وادعوا أنه من المسيحية فى حين أنه محض أكاذيب وأضاليل. وكان «أمبروز» يبرر أكاذيبه بأنها تزيد من ارتباط الناس بالكنيسة،

وتدعم اقتناعهم بالعقيدة وتذكرهم بالآخرة، وتجعلهم يخافون من العقاب الذى سينزل بهم يوم الحساب، كما أن هذه الأكاذيب تشجعهم على التضحية من أجل الكنيسة، ولعلنا لا نكون نسينا أكاذيب وافتراءات «الباب إيربان الثانى» فى أواخر القرن الحادى عشر وكيف أدت إلى الحروب الصليبية، التى أزهقت أرواح مئات الألوف من الرجال والنساء والأطفال من المسلمين لا لشىء إلا لمجرد إشباع نهمه ونهم أعوانه من رجال الكهنوت إلى السلطة والثروة، وإشباع رغبتهم فى القضاء على الإسلام والمسلمين.

ومن المعلوم أن المسيحية ــ كعقيدة ــ قامت على فكرة البعث والحساب فقط، ولذلك فإن الإنجيل لم يتضمن شيئاً خلاف المبادىء والأقوال التى تدعم هذه الفكرة وتثبتها فى الأذهان، أما ما قيل إنه ورد على لسان المسيح من أقوال تضمنتها الأناجيل المختلفة، فإن ما بينها من تناقض واضح يدل بذاته على اختلاقها ونسبتها زوراً إلى المسيح، وهو ما كشف عنه «هردر» فى دراسته للأناجيل ودفعه إلى القول إن: «ما بين مسيح متى، ومرقص، ولوقا ومسيح إنجيل يوحنا من فوارق لا يمكن التوفيق بينها» (٢٠).

وكان بولس واضع أساس اللاهوت المسيحى قد نسب إلى المسيح أقوالاً لا أساس لها من الصحة، يزعم بها أنه، أى المسيح (الإله) سوف يبعث مرة أخرى لينقذ العالم مما انحدر إليه، ويرجح كفة المؤمنين على الكفار، وهى مقولة صحيحة فى نصفها الأول كاذبة فى نصفها الثانى، أو بمعنى أدق فيما عناه بولس بكلمة «المؤمنين» فهم بدون شك ليسوا من يعبدون الثالوث، وزعم بولس أن نزول الرب (يقصد عيسى) سيكون قريباً جدًّا وعلى وجه التحديد فى حياة بولس نفسه، فلما طال انتظار الناس لهذا البعث دون جدوى، بدا إيمانهم بالفكرة ذاتها يتزعزع ويضعف، حتى وصل بهم الأمر إلى الشك فى البعث، وكان بولس قد كتب إلى أهل «فيلبى» قائلاً: «ننتظر مُخلصاً هو الرب يسوع المسيح.. الرب قريب» فلما تأخر مجىء الرب، على حد قوله، وبدأ الناس يهملون شئون العالم انتظاراً لقرب مجىء المسيح، حاول بولس أن يوفق بين عقيدته الأولى وبين تأخر مجىء المسيح للمرة الثانية، وأخذ يضع أمله فى أن يراه بعد أن يموت.

---

(٢٠) ول ديورانت المرجع السابق صفحة ٢٠٣.

واستمر خلفاء بولس فى ترديد كلامه بشأن عودة الرب يسوع المسيح إلى الأرض، والقول بأنه قريب فلما أن بدأ هذا الأمل يضمحل، أخذت مطالب الجسد تقوى مرة أخرى، وضعفت الأخلاق المسيحية، وشاهد ذلك أن رسالة لا يعرف كاتبها تسمى راعى هرماس (حوالى عام ١١٠) تندد بعودة البخل والخيانة وأصباغ الشفاه، وصبغ الشعر، وتلوين الجفون، والسكر، والزنى بين المسيحيين (٢١).

وكانت ردود الفعل تختلف فى كل مرة يردد فيها الأساقفة ادعاء بولس بعودة المسيح الرب يسوع، فتارة يكون رد الفعل الزهد والتقشف وإهمال شئون العالم، وتارة يكون رد الفعل هو الإغراق فى الفساد وشيوع الرذائل. ومع ذلك استمر الأساقفة فى ترديد الادعاء بعودة الرب يسوع المسيح، فسار أحدهم وهو أسقف سورى على رأس أتباعه إلى الصحراء ليلتقى بالمسيح فى منتصف الطريق، وفى بنطس، أفسد أسقف آخر نظام أتباعه بأن أعلن أن المسيح سيعود فى خلال عام واحد، ولما لم تصدق كل هذه العلامات، ولم يعد المسيح، رأى عقلاء المسيحية أن يخففوا من وقع هذه الخيبة بتفسير موعد عودته تفسيراً جديداً، فقيل فى رسالة معزوة إلى برنابا: إنه سيعود فى خلال ألف عام ويقول ول ديورانت (٢٢): «وملاك القول أن الاعتقاد بعودة المسيح الثانية هى التى أقامت صرح المسيحية، وأن الأمل فى الدار الآخرة هو الذى أبقى عليها».

وقد تضاعفت خيبة أمل المسيحيين فى البعث وعودة المسيح فى عام ١٥٦، عندما قام رجل يدعى مونتانس Montanus تنبأ بأن ملكوت السموات قد دنت ساعتها، وأن أورشليم الجديدة التى يقول بها سفر الرؤيا ستنزل من السماء على سهل قريب بعد زمن قليل، ثم سار بنفسه إلى هذه الأرض الموعودة على رأس حشد من الناس بلغ من الكثرة درجة خلت معها بعض المدن من سكانها، وحدث فى هذا الوقت ما حدث فى بداية عهد المسيحية، فامتنع الناس عن الزواج وعن التناسل، وجعلوا متاعهم ملكاً مشاعاً بينهم وعمدوا إلى التقشف والزهد استعداداً لمجىء المسيح (٢٣).

---

(٢١) المرجع السابق صفحة ٢٨٢.

(٢٢) المرجع السابق السابق ص ٢٩١.

(٢٣) المرجع السابق ص ٢٩٤

وفضلاً عن مشكلة عودة الرب يسوع المسيح، وما أسفرت عنه من نتائج خطيرة، فإن الأيام ما لبثت أن حملت إلى الكنيسة عدداً آخر من المشكلات، منها ما هو ناشىء عن الاختلاف فى تفسير طبيعة المسيح، وهل هى طبيعة لا هوتية أم طبيعة ناسوتية أم مزيج من الاثنتين، وتفرق المسيحيون شيعاً كثيرة، حتى أصبح همُّ كل فرد منهم أن يكون لنفسه حزباً «واستطاع إيرينيوس أن يحصى فى عام ١٨٧ عشرين شيعة مختلفة من المسيحيين، وأحصى إيفانيوس فى عام ٣٨٤ ثمانين شيعة، وكانت الأفكار الأجنبية تتسرب إلى العقيدة المسيحية فى كل نقطة من نقاطها، وأخذ المؤمنون المسيحيون ينضمون إلى هذه الشيع الجديدة».

وفى تطور لاحق انتقلت الخلافات بين الشيع والكنائس المختلفة إلى المجامع الكنسية، التى لم تسفر المناقشات التى دارت فيها إلا عن مزيد من الخلاف حول طبيعة المسيح ونزوله وغير ذلك، ووقف إثناسيوس ضد آريوس (مجمع نيقية ٣٢٥) وبعد طرد آريوس أعيد إلى كرسيه، وصدر القرار بخلع إثناسيوس الذى ما لبث أنصاره أن دسوا السم لآريوس فمات لساعته، وبعد عودة إثناسيوس إلى كرسى الإسكندرية طرد منه للمرة الثانية بعد موت الإمبراطور قسطنطين، واعتناق ابنته وخليفته قسطنطيوس الآريوسية التى تذهب إلى القول بتشابه المسيح والآب دون اتحادهما فى المادة، ولكن إثناسيوس ظل يقاوم هذا الرأى حتى عادت عقيدة التثليث من جديد.

غير أن الآراء المعارضة للتثليث لم تنفك تظهر بين الحين والحين، بل ذهب بعضها إلى حد إنكار أن للمسيح طبيعة غير طبيعته البشرية، وهو ما رددته شيعة الثيودوتية التى لم تكن ترى فى المسيح أكثر من إنسان (٢٤).

وفى القرن الخامس الذى استيقظ فيه أهل الكهف ثار الخلاف من جديد حول طبيعة المسيح، فقد خرج على الناس المدعو أوتيكيس Eutyches وهو رئيس دير قريب من القسطنطينية، بادعاء يقول فيه: إن المسيح ليست له طبيعتان بشرية وإلهية، بل إن له طبيعة واحدة هى الطبيعة الإلهية، وأيده فيما قاله ديوسكوراس أسقف الإسكندرية، فى حين أنكرها فلافيان بطريق القسطنطينية، الذى عقد مجمعاً محلياً مقدساً أنكر هذه البدعة، وحرم أوتيكيس من الكنيسة المسيحية،

٢٤) المرجع السابق ص ٢٩٤.

ولكن بطريق الإسكندرية أقنع الإمبراطور ثيودوسيوس الذى يقال إن أهل الكهف استيقظوا فى عهده، وإنه الملك الصالح الذى ذهب بنفسه إليهم فى كهفهم فى أفسوس والذى كان، طبقاً لما جاء فى الروايات المختلفة التى رويت عن أهل الكهف، أنه لما رأى ضعف إيمان الناس بالبعث دعا الله أن يأتى بمعجزة تعيد إليهم هذا الإيمان، فاستجاب له لصلاحه وورعه وحدثت المعجزة. هذا الإمبراطور الصالح عقد مجمعاً كنسيًّا فى أفسوس عام ٤٤٩ أصدر قراره ببراءة أوتيكيس وبإعلان أن اللعنة على كل من يقول بوجود طبيعتين للمسيح، وإنما هى طبيعة واحدة هى الطبيعة الإلهية فأى إله هو الذى صلى لـه ثيودوسيوس الصالح وطلب منه المعجزة: أهو الرب يسوع أم الله الواحد الأحد؟

والغريب فى الأمر أن بابا روما ليوالأول ارتاع لهذا القرار، وأطلق على المجلس الذى أصدره اسم «مجمع اللصوص» وأبى أن يوافق على قراراته، ثم عقد مجلساً آخر فى خليقدون Chalcedoon عام ٤٥١ أيد قرارات البابا وأعلن سخطه على أوتيكيس، وأيد من جديد ازدواج طبيعة المسيح (٢٥) ليس ذلك وحسب، بل إن الإمبراطور ثيودوسيوس لم يكتف بإعلان إيمانه بفكرة الطبيعة الواحدة للمسيح، وهى الطبيعة الإلهية، بل أضاف إلى ذلك إيمانه بأن السيدة العذراء هى أم الطبيعة الإلهية فى المسيح، وأصدر قراره بنفى أسقف القسطنطينية المدعو نسطوريوس؛ لأنه كان يقول إن مريم لم تكن أم الطبيعة الإلهية فى المسيح، بل أم طبيعته البشرية، وإن خيراً من تسميتها بأم الله أن تسمى أم المسيح. وهكذا جعل ثيودوسيوس الصالح مع الله إلهين المسيح وأمه (٢٦).

كذلك يلاحظ من يقرأ قصة النيام السبعة أن (جيمس الساروجى) الذى لم يشاهد دخول الفتية الكهف ولا استيقاظهم فيه، زعم أن الفتية هربوا إلى الكهف فى عهد القيصر (ديكيوس) أو ديسيوس الذى تعمد أن يشوه سمعته ويسىء إليه، مدعياً أنه فرض على المسيحيين أن يعبدوه ويسجدوا لتمثاله، كما ادعى أنهم استيقظوا فى عهد ثيودوسيوس الأصغر، الذى وصفه بأنه صالح وتقى؛ لأنه كان ألعوبة فى أيدى الأساقفة، يضع خاتمه على كل ما يصدر عن مجامعهم

---

(٢٥) ديورانت، المجلد الرابع، الجزء الأول، ص ١٠٢.

(٢٦) المرجع السابق ص ١٠١.

من قرارات، حتى ولو كانت تدعى كذباً أن المسيح إله وأمه إلهة أيضاً، وهكذا دأب هؤلاء الناس دائماً على تشويه صورة من لا يسايرهم فيما يذهبون إليه، ويحسنون ويجملون صور من يسايرهم ولو كان ما ذهبوا إليه كذباً وافتراء على الله.

كذلك يوجد دليل آخر على أن قصة النيام السبعة ليست صحيحة بل مزورة، وهو الدليل المستمد مما أجمع عليه المؤرخون والباحثون الذين كتبوا عنها، فقد أجمعوا على أنها كانت قد كتبت بالسريانية لغة سكان الشام قديماً، ثم ترجمت إلى اللاتينية بفضل عناية جريجورى أسقف مدينة (تور) بفرنسا وهو أمر غريب حقاً؛ ذلك لأن الحادثة وقعت فى مدينة رومانية كبيرة هى (أفسوس) وأبطالها من سكان هذه المدينة، أى من الروم الذين حضر الإمبراطور (ثيودوسيوس) بنفسه ومعه الوزراء وكبار رجال دولته إليهم فى الكهف، وتكلم معهم وسمع قصتهم العجيبة، ولاشك أنه تكلم معهم باللاتينية أو باليونانية، فكيف لم تكتب القصة بهذه اللغة أو بتلك وكتبت بالسريانية التى هى لغة شعب يستعمر اليونانيون بلاده؟

إن هذا الذى حدث يشبه أن تكون حادثة هامة وقعت فى (يوركاشير) بإنجلترا فى بداية هذا القرن، فقام بعض الإنجليز بكتابتها باللغة العربية لا لشىء إلا لأن بلادهم تحتل مصر، فهل هذا معقول؟ ومع ذلك فإن المستشرقين، على الرغم مما يتظاهرون به من ذكاء وفطنة وبعد نظر، يقبلون ببساطة تبلغ درجة السذاجة أن يحدث ذلك بالنسبة لقصة النيام السبعة، وبطبيعة الحال فإن ما فعله هؤلاء الناس من تغاضيهم عما فى القصة المزورة من تناقضات وأخطاء لا يفعلون مثله مع الموضوعات الإسلامية، حتى ولو كانت صحيحة، فهم يشحذون أفكارهم ويستنفرون ذكاءهم من أجل أن يستخلصوا منها أخطاء، ويفتعلوا لها مثالب ويلصقون بها عيوباً غير عابئين بحكم التاريخ على سلوكهم هذا، فكل ما يهمهم هو أن يسيئوا إلى الإسلام وأن يشوهوا صورته.

ومما يدعو إلى السخرية حقاً أن يلصقوا بالإسلام تهمة انتحال هذه القصة من المصادر المسيحية، فى حين أنهم هم الذين انتحلوها من مصدرها الأصلى وزوروها وأضافوا إليها تفاصيل ليست منها لا لشىء إلا لاستغلالها فى الترويج لأفكارهم الضالة وتزيين مبادئهم التثليثية المشركة فى نظر الناس السذج. فها هو

(ادوارد جيبون) المؤرخ الإنجليزى يقول مفسراً وجود قصة أهل الكهف فى القرآن الكريم: «لابد أن النبى محمداً قد سمعها عندما ذهب بقوافله إلى أسواق سوريا» وهكذا دأب الغالبية العظمى من علماء الغرب الذين يتعرضون للإسلام بالدراسة والبحث، فهم يصدرون أحكامهم عليه بطريقة تنطوى على الكثير من التعسف، إن لم يكن الافتراء الذى لا يستند إلى أساس، حتى ولو كان واهياً.

ولكن مما لا شك فيه أن «جيبون» قد كشف بالرغم عنه عن الكيفية التى انتقلت بها أحداث القصة من مكانها الأصلى إلى «أفسوس» على يدى «جيمس الساروجى» الذى سمع عن القصة من آخرين فذكرها فى عظاته على أنها حدثت فى «أفسوس»، وما قاله «جيبون» يسمى فى علم النفس «إسقاطاً» يقوم فيه الشخص بإسناد واقعة معينة إلى غير أصحابها، سواء أكانت الواقعة تخصه هو شخصياً أم تخص جماعته، التى ينتمى إليها، وفى جميع الأحوال فإن الواقعة التى تتناولها عملية الإسقاط تكون من النوع الذى لا يشرف، كالكذب والسرقة وسوء السلوك وغير ذلك، ولما أن كان «جيبون» ملحداً لا يؤمن بالله، وبالتالى لا يهمه أن يدافع عن المسيحية أو أن يهاجم الإسلام، لأن الأديان ــ فى اعتقاده ــ تتساوى من حيث ترويجها لأفكار لا يؤمن بها هم، فإن عملية الإسقاط لا تنسب إليه لأنه مجرد ناقل للأحداث من مصادر قديمة، ومردد لآراء صدرت عن غيره، وبالتالى فإن الإسقاط ينسب إلى أولئك الذين نقل عنهم وردد آراءهم.

وكان بمقدور «جيبون» الذى كان فى كثير مما ذكره عن الإسلام، أقرب إلى الإنصاف من كثير من المؤرخين الغربيين، وبخاصة المتعصبون منهم الذين ضربوا عرض الحائط بالحقائق الثابتة، وزيفوا وزوروا بلا وازع من ضمير أو خوف من حكم التاريخ عليهم، كان بمقدوره أن يكتشف ببساطة شديدة أن ما زعمه من أن الرسول ﷺ قد سمع قصة أهل الكهف عندما ذهب بقوافله إلى أسواق سوريا، ليس صحيحاً من ناحية، ويتضمن بذاته دليلاً على أن القصة لم تحدث فى (أفسوس) كما زعم «جيمس الساروجى» من ناحية أخرى، أما من حيث عدم صحة ما قيل من أن الرسول ﷺ كان قد سمع بالقصة عند تردده على أسواق سوريا ثم إضافته إياها بعد ذلك إلى القرآن الكريم، فإن الرسول لم يذهب

إلى سوريا غير مرتين كان فيها صغيراً دون الثانية عشرة، ليس لديه فكرة لا من قريب ولا من بعيد عما سوف يصير إليه عندما يبلغ الأربعين، ويبعثه الله رسولاً للبشرية، ولا نتصور أن القصة بصورتها الدقيقة بل البالغة الدقة التى أوردها بها القرآن يمكن أن تكون مجرد ذكريات قديمة اختزنتها ذاكرة الطفل، أو حتى صبى صغير لمدة تزيد على الثلاثين عاماً. ومع ذلك فإنها لما أفرزتها بعد أن أصبح رسولاً إذ بها تأتى متسقة تخلو من التناقض الذى يعيب قصة النيام السبعة التى يزعم «جيمس الساروجى» أنها القصة الحقيقة، فكيف تسنى لمحمد ﷺ أن يخلص القصة (الحقيقية) على حد زعمهم من التناقض، ويعيد إليها اتساقها، اللهم إلا إذا كان ما قاله هو الحق الذى جاء به من ربه.

أما من حيث إن ما قاله «جيبون» من أن الرسول ﷺ سمع بالقصة فى سوريا، على الرغم من أنها وقعت فى (أفسوس) بآسيا الوسطى، فمعنى ذلك أنها كانت شائعة فى سوريا فى صورة تختلف عن الصورة التى ترسمها قصة النيام السبعة التى تنسب إلى «جيمس الساروجى» والتى إذا ما قارنا بينها وبين الصورة السورية، التى ينبغى أن تكون طبقاً لما زعمه «جيبون» هى التى ذكرها القرآن، فسوف يتبين لنا أى الصورتين هى الصحيحة والدقيقة والمتسقة، وأيتهما الكاذبة والمشوشة والمضطربة والمتناقضة، مما يدل ــ مع افتراضنا جدلاً صحة ما زعم من أن الرسول ﷺ كان قد سمعها عند زيارته لسوريا ــ على أن قصة «جيمس الساروجى» قد انتحلت وزورت من أجل أن تخدم أغراض الكنيسة الكاثوليكية.

فإذا لم تكن معجزة أصحاب الكهف قد حدثت فى (أفسوس) ولم يكن من أبطالها ملكان أحدهما يدعى (ديكيوس) والآخر يدعى (ثيودوسيوس) الثانى أو الأصغر، وإذا لم يكن ما رواه (ديونيس) فى كتابه المزعوم، وما قاله «جيمس الساروجى» فى عظاته الكاذبة عن النيام السبعة صحيحاً، فما هى القصة الحقيقية؟ قصة أصحاب الكهف كما حدثت فعلاً، وليس كما زورها أساتذة التزوير الذين زوروا المسيحية الحقيقية، وجعلوا من المسيح إلهاً ومن الإله الواحد ثلاثة. هذا ما سوف نبينه فى الفصول التالية.